حوارات

كورونا والثقافة:
الأزمات والأوبئة وارتباطها بالسُّنن العلمية والاجتماعية

حوار مع الدكتور:

عبد الرحمن حللي

حاوره الدكتور:

الحسن حما

مركز نهوض للبحوث والدراسات
NOHOUDH CENTER FOR RESEARCHS AND STUDIES

جميع الحقوق محفوظة © ٢٠٢٠
All rights reserved © 2020

كورونا والثقافة:

الأزمات والأوبئة مرتبطة بالسُّنن العلمية والاجتماعية

حوار مع الدكتور:

عبد الرحمن حللي

حاوره:

الحسن حما

مـن الطبيعـي أن يواكـب كلُّ صاحـب قضيـة، وكلُّ مهتـمٍّ بالثقافـة والعلـم، وكلُّ ذي شـأنٍ أيَّ أزمـة تمـر بالإنسـانية، أو تحيـط بـأي فـردٍ في العـالم، خاصـةً ونحـن نعيـش في زمـن العولمـة، التـي كـسرت كثـيرًا مـن الحواجـز والخصوصيـات، مـما جعـل حركيـة الأزمـات والاضطرابـات الاقتصاديـة والاجتماعيـة والصحيـة تنتقـل بسرعـة كبـيرة، وهـو مـا يعـرِّض الـدول والمجتمعـات لمشـاكل اقتصاديـة وسياسـية واجتماعيـة.

وكان لازمًـا على العلمـاء والمفكِّرين أن ينخرطـوا في جهـود مكافحـة وباء كورونـا المسـتجد، خاصةً وأنـه عزل المجتمعـات، وأثَّر بشـكل مبـاشر في الشعـائر الدينيـة الجماعيـة، مـا يسـتدعي النظر في الديـن وَفْقَ القواعد المقـرَّرة في مثل هـذه الحالات.

في هـذا الحـوار، يقـدِّم الدكتـور عبـد الرحمـن حلـلي قراءتـه للأحـداث الجاريـة مـن وجهـة نظـر الباحـث في الدراسـات القرآنيـة والفكريـة، ويُـبرز جوانـبَ مـن أعطـاب النظـام العالمـي المعولَـم، الـذي كشـفته هـذه الجائحـة.

والدكتـور عبـد الرحمـن حلـلي كاتـب وأسـتاذ جامعـيٌّ سـوريٌّ مقيـم في ألمانيـا، متخصِّـص في الدراسـات القرآنيـة، ومعنـيٌّ بقضايـا الفكـر الإسـلامي.

◄ المحـور الأول: الخطـاب الديني والتعامـل مع الأزمات الاجتماعيـة:

س١. باعتباركم من المشتغلين بالفكـر الإسلامـي والدراسـات القرآنيـة، فمـا هـي قراءتكم لما يجـري الآن في العالـم؟

الأوبئـة والأزمـات الكـبرى ليسـت بأمـرٍ جديـدٍ عـلى المجتمعـات الإنسـانية، فقـد أَلِـفَ كلُّ جيـلٍ شـكلًا أو أشـكالًا مختلفـةً منهـا، سـواء أكانـت طبيعيـةً أم مـن فعـل الإنسـان. لكـن الجديـد هـذه المـرة أن الوبـاء لا يخـصُّ مكانًـا أو مجتمعًا بعينه، وأن اتسـاع انتشـاره متأثِّـر بنشـاط الإنسـان نفسـه ونمطِ حياتـه الحديـث؛ بـل يمكـن القـول إن مـن سُـنَّة الحيـاة أن يتعـرض الإنسـان لابتـلاءاتٍ وأمـراضٍ وعلـل، أيًّـا كانـت أسـبابها، ومنهـجُ تعاملـه معهـا هـو موضـوع التكليـف الإلهـي والمسـؤولية، بـأن ينهـج في معالجتهـا وفـق مـا تخضـع لـه مـن قوانـين وأُسـس، كالتـداوي في حالـة المـرض، والتعـاون فيـما يخـص الجماعـة، ورفـع الأذى ودفعـه حيـث وجِـد، والثقـة الدائمـة المعـززة بالتـوكُّل عـلى اللـه، والصـبر والتـواصي بـه، سـواء عـلى تحمُّـل الآثـار أو في السـعي لإيجـاد الحلـول. فوبـاء "كورونـا" لا يحتمـل تأويـلًا مـا ورائيًّـا؛ إذ لا جديـد فيـه سـوى عجـز الإنسـان عـن السـيطرة عـلى انتشـاره، فقـد مـضى أشـدُّ

منه من غير هذا الضجيج، ولم نسمع بشأنه ما نسمعه اليوم، بسبب محدودية الانتشار والقدرة على الاحتواء. وبناءً على هذه المقارنة، يمكن القول إن مسؤولية الإنسان تجاه الوباء الأخير واضحةٌ، وتتجلَّى في نمط الحياة الجديد الذي سهَّل انتشاره، وفي عدم مواكبة البحوث العلمية لهذا النمط المتطوِّر من الفيروسات، وفي أنماط الاستجابة لمحاصرة الوباء نفسه. فأي تأويلٍ دينيٍّ للوباء فضلًا عن كونه تَقَوُّلًا على الله من غير علم، يتجاهل تاريخ الأوبئة ودور الإنسان في انتشارها ومعالجتها والسيطرة عليها.

س٢. هل هناك نماذج في التراث الإسلامي والفقهي خاصة للتعامل مع الأوبئة أو الأزمات الاجتماعية التي تؤدي مثلاً إلى إغلاق المساجد أو إيقاف بعض الشعائر الدينية الجماعية؟

كما ذكرت، فإن للأوبئة تاريخًا يرافق الإنسان، وقد شهد التاريخ الإسلامي نماذجَ مختلفةً من الأزمات والأوبئة، وقد درج المسلمون في التعامل معها بحسب ما تقتضيه ثقافتهم الطبيَّة في كل زمان، فالوباء اسم عربيٌّ قديم لكل مرضٍ عامٍّ منتشر، وتُستعمل مشتقات من اللفظ نفسه في ذمِّ أمكنة أو أشياء تنتشر بها الأمراض، على سبيل التحذير منها، كما كان يطلق على المرض المنتشر الذي يفتك بالناس: "الطاعون"، وقد تعامل معه الناس قديمًا بتجنُّب الشخص أو المكان المصاب، حتى أصبح الطَّعين (المصاب بالطاعون) مضرب مثلٍ لمن هجره الناس كما في شعر النَّابغة الذُّبياني (٢٠ق.هـ/٦٠٢م): "فَبِتُّ كَأَنَّنِي حَرِجٌ لَعِينٌ .. نَفَاهُ النَّاسُ، أَوْ دَنِفٌ طَعِينُ". ووردت أحاديثُ نبوية تؤكِّد هذه الثقافة الطبية التي كانت معهودةً لدى الناس قبل الإسلام من اعتزال مَن أُصيب بالطاعون أو المكان المصاب به أو ما يسبِّبه، كالذي في الموطأ: "فإذا سمعتم به [الطاعون] بأرضٍ فلا تدخلوا عليه، وإن وقع في أرضٍ فلا تخرجوا فرارًا منه"، وثمة رواياتٌ وأخبار متفاوتة في الصحَّة وبعض التفاصيل، لكن ينبغي أن تُفهَم جميعًا في ضوء أصلٍ معروفٍ في الشريعة، وهو أن قضايا الطب مرجعها العلم والتجربة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتبع فيها ما يعلمه الناس في عصره بهذا الشأن، وهي ليست من مواضيع الوحي والنبوَّة حتى تكون موضوعًا للنظر الديني في اختلافها أو تناقضها مع ما يقتضيه العلم، فهي أصلًا لا تصلح شاهدًا في غير عصرها؛ لأن دلالتها نسبيةٌ لا تتعدَّى زمانها، وحجيتها تكْمُن في دلالتها أن يتخذ المريض دواءً أو علاجًا مناسبًا، لا في نفس الدواء.

أما فيما يخص الوباء أو الطاعون، فكانت أول حالة وبائية يُتَحَدَّثُ عنها في

التراث الإسلامي هي (طاعون عَمَواس) في العقد الثاني للهجرة، وقد ثار جدلٌ بين الناس بشأنه، وفيهم الصحابة، وامتنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن متابعة مسيره إلى الشام بعد أن علم بحدوثه، وكانت بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح مراسلاتٌ عن أفضل السُّبل لتجنُّب آثاره في ضوء فهمهم للوباء في عصرهم، وقد اجتهد الناس يومها في التعامل مع الوباء، كما لم تغب حينها التأويلاتُ الدينية التي تستسلم للقدر، وكان المؤولون من بين ضحاياه. وتجاوزت الكتب التي صُنِّفت في التاريخ عن الطاعون العشرين كتابًا، والتي تعكس ثقافة عصر المؤلفين، أو تجمع المرويات التي تواسي المصاب به.

أما عن آثار الأوبئة والأزمات في الشعائر الدينية وما يشبهها، فيكفي أن نتذكَّر أن كل أحكام الدين تخضع للتخفيف أو الرفع أحيانًا في الحالات الاستثنائية، حيث تنعدم أو تنقص فيها شروط الوجوب أو الأداء، فمن المتفق عليه أن أعراضًا كالمرض والسفر والخوف واختلال الاستطاعة والإكراه وغيرها تؤثر في جميع الشعائر الدينية على مستوى الفرد، ومن باب أولى على مستوى الجماعة والمجتمع؛ إذ المخاطرة بشروط السلامة قد تؤدي إلى تعطُّل الشعائر كليًّا بفناء من يؤديها أو عجزهم. وتحكي كتب التاريخ تعطُّل الشعائر كالجمعة والجماعات لظروفٍ مختلفة، كالخوف، بل تفترض بعض كتب السياسة الشرعية ظروفًا تتعطَّل فيها الشريعة ويبقى فيها المسلمون يقيمون دينهم قدر استطاعتهم. وبالتالي، فإنَّ إيقاف كل ما من شأنه نشر الوباء في المجتمع، هو تقديم لما هو ضروري أو حاجي على مستوى الجماعة من مقاصد الشريعة (حفظ النفس) على ما هو حاجي أو تحسيني من مقاصدها مما يندرج ضمن مقصد (حفظ الدين)، فحفظ الدين لا يضيع بتعطُّل مؤقَّت للجمعة والجماعة، لكن حفظ النفس قد يضيع بالإصرار على ما من شأنه أن ينشر الوباء أكثر، فيؤول إلى تفريطٍ مزدوجٍ بالنفس والدين معًا.

س٣. لقد كانت - وما زالت - استجابة المؤسسات والشخصيات الدينية إيجابيةً في التصدي للوباء، وأبرزت ما تقتضيه قواعد الدين في مثل هذه الحالات، لكن ظهر خطاب وعظيٌّ انخرط في تأويل الوباء، وربطه بـ "العقاب الإلهي". فبماذا تفسر هذا، خاصةً وأن ما وقع جعل الإنسان حتى في الدول المتقدِّمة يشعر بحدوث نهاية العالم؟

للأسف تسيطر السطحية والارتجال على كثيرين ممَّن يمتهنون الوعظ الديني، ليس في هذه المسألة فقط، وإنما في

أمـور أخـرى كثـيرة يُسـتَدعى فيهـا الديـن ونصوصـه، ويتـمُّ توظيفهـا خـارج سـياقها ودلالتهـا، ويعظـم الأمـر عندمـا يَقْسِـم الواعـظ رحمـة اللـه عـلى النـاس وهـو غـير ضامـنٍ لهـا لنفسـه، وكذلـك الأمـر عندمـا يفسِّر مـا ابتـلي بـه النـاس عـلى أنـه عقـاب إلهـيٌّ. فكـون الأزمـات والأوبئـة عقابًـا هـو أمـر غيبـيٌّ اختـصَّ اللـه بـه، فمـن تدخـل بـه فقـد تَقَـوَّلَ عـلى اللـه، بـل إن كثـيرًا مـن الأزمـات مرتبطـةٌ بسـننٍ علميـة أو اجتماعيـة يتـمُّ اسـتشرافها مـن قبـل، فتفسـيرها بأنهـا عقـاب إلهـيٌّ يلـزم منـه نسـبة العبـث إلى اللـه؛ إذ ينـزل البـلاء حيـث تتحقَّـق شروط وقوعـه الماديـة والعلميـة لا حيـث يُـؤتَى مـن الأفعـال مـا يسـتحقُّ غضـب اللـه وعقابـه. أمـا مـا يوهـم مـن النصـوص والآثـار أن مـا ينـزل بالإنسـان مـن ابتـلاء مـرده تقصـير مـن الإنسـان وغضـب مـن اللـه، فينبغـي أن يُفهَـم عـلى أنـه وعـظٌ مـن اللـه للنـاس، وهو خطـاب يختـصُّ اللـه بـه وليـس موضوعًـا يحتـاج تفسـيرًا تاريخيًّـا يسـقطه الإنسـان عـلى الأحـداث. عـلى أن النصـوص واضحـةٌ أن مفهـوم عـذاب الأُمـم قـد رفعـه اللـه، وأنـه لا تـزر وازرة وزر أخـرى.

إن فـكَّ هـذا الارتبـاط بـين عمـوم الوبـاء وبـين الأسـباب الدينيـة لا يعنـي تعطيـل دور الديـن والوعـظ الدينـي في الوقايـة مـن الوبـاء والإسـهام في التخلُّـص منـه، فالحـثُّ عـلى الدعـاء والتكافـل والتعـاون والأخـذ بالأسـباب وغـير ذلـك موضوعـاتٌ ينبغـي للوعـاظ أن يحثـوا النـاس عليهـا عـن علـمٍ بالتنسـيق مـع المعنيـين بالأمـر.

وبالمناسـبة، فـإن هـذا الاضطـراب الدينـي في الموقـف تجـاه الأوبئـة لا يخـص المسـلمين، كـما أنـه ليـس ظاهـرةً معـاصرة، فتحـكي بعـض كتـب الـتراث مسـتنكِرة تـصرف بعـض الوعـاظ الذيـن جمعـوا النـاس أيـام الطاعـون للدعـاء، فكانـوا سـببًا في مضاعفـة انتشـاره وتوسُّـعه باختـلاط الأصحـاء بالمـرضى.

س٤. ما الذي يمكن أن يقدِّمه الفكر الإسلامي المعاصر في مثل هذه الظروف؟

في ظـل مـا يغلـب عـلى الخطـاب الدينـي مـن الارتجـال أو التوظيـف، فـإن توسُّـع وسـائل التواصـل وتنوُّعهـا يتيـح مجـالًا لمواجهـة هـذا التزييـف بالتوعيـة ونـشر المعلومـة الدينيـة المدقَّقـة التـي تتكامـل مـع دور الأطبـاء والجهـات المعنيَّـة في مواجهـة هـذا الوبـاء، وهـي فرصـة مجـددة ليقـوم المختصـون بمراجعـاتٍ نقديـة للمـوروث المتـداول مـن نصـوصٍ ومواقـفَ يتـمُّ توظيفهـا خطـأً، وإخضاعهـا لقواعـد النقـد العلمـي الرصـين، بعيـدًا عـن العواطـف. أمـا عـلى الصعيـد العلمـي، فالأمـر أبعـدُ مـن الظـرف الراهـن؛ لكـن مـن شـأنه أن يبعـث الاهتـمام بحقـولٍ علميـةٍ لم تأخـذ حقَّهـا مـن

الدرس، كالدراسات الأخلاقية والاجتماعية والتاريخية المتصلة بقضايا تتصل بالدين من أجل تحليلها وتحريرها علميًّا.

المحور الثاني: المجتمع العربي واستعادة سؤال الإنسان والتنمية:

س٥. إذا كانت استعادة سؤال النهضة والتنمية في المجتمعات العربية حتميةً تاريخيةً وضرورةً حضاريةً، فإن هذه الأحداث أبرزت أن أيَّ مشروعٍ تنمويٍّ لا يضع الإنسان في القلب والمركز فهو مشروع لا يُعوَّل عليه مستقبلاً، فهل هذا يعني أن بوصلة التنمية في العالم العربي بحاجة إلى رؤى جديدةٍ وإعادة مراجعة أولوياتنا وقواعد نظرنا للحياة والوجود؟

السؤال الأهمُّ هو: هل لدينا بالفعل مشاريع تنمية حقيقية في العالم العربي؟ وأعني بذلك مشاريع ذات رؤية مستقبلية يمكن اختبارها. إن معظم ما يُسمَّى تعليمًا وتنميةً في عالمنا العربي ذو رؤية تشغيلية آنية لاستمرار الحياة وامتصاص البطالة، وتأمين أكبر قدرٍ من الرفاهية والربحية لأقلية من الناس وتشغيل الآخرين في فلكها. فالحديث عن التنمية والنهضة في المجتمعات العربية بحاجة إلى مجتمعاتٍ حيَّة وقادرة على الشعور بالانتماء والمواطنة والكرامة والحرية، حتى تستطيع أن تبذل ما لديها في سبيل تنمية بلدانها. أما مشاريع التشغيل المستعارة والخدمات الآنية والتعليم الوظيفي والبحث العلمي الشكلي، فلا تصنع تنميةً، ويبقى المجتمع رهن الدول المصدرة والمسيطرة. فحال معظم العالم العربي أنه بيئةٌ طاردةٌ لأبنائه، إمَّا تضطرهم للهروب لاجئين باحثين عن الأمان والكرامة، أو علماء باحثين عن موطنٍ للمعرفة، أو أيدي عاملة باحثة عمَّن يشغلها، أو كل ذلك معًا. ومن لم يكن حاله كذلك، فهو يفكِّر بهذا الأفق. فلا توجد تنمية أصلًا حتى تضيع بوصلتها، وما يُسمَّى من مشاريع بأنها تنموية فهذا على سبيل الاستعارة حقيقةً لكونها مستوردةً، أو مجازًا لكونها قصيرةَ الرؤية أو محدودة.

س٦. هناك قراءات ربطت بين ما يجري وبين معادلة صراع الشرق والغرب، وأن الأمر ما هو إلَّا إعادة ترتيب الأوراق، على أساس ثنائية الغرب (مركز) في مقابل الشرق (الهامش)؟

من الطبيعي أن تستثمر القوى المسيطرة والمُقْتَسِمة للعالم أيَّ حدثٍ حتى لو كانت أزمة إنسانية لتعزيز غطرستها أو تنغيص خصومها، وهذا ما نجده

واضحًا في التصريحات والتلميحات الصينية والأمريكية. لكن من غير الطبيعي أن ينشغل من هو ضحية سيطرة الاثنين واستغلالهما باكتشاف من الذي استهدف الآخر: الشرق أو الغرب؟ فطالما أن العالم العربي مشدود لتلقي الصدى والأثر الذي تتركه ضربة الكرة التي يستهدف بها كلُّ فريقٍ الآخر، فلا فرق حينها مَن بدأ بتسديد الضربة الأولى، هذا لو افترضنا أنها كانت بالفعل كذلك. لكن ما نراه أن الوباء أحرج المركز والهامش ويهدِّدهما معًا، وإن كان أحدهما سدَّد رميةً ما، فهي رمية غبية أو أفلتت منه بغباء، وسنكون أشدَّ غباءً إذا انشغلنا بتفكيك وتحليل مؤامرة مفترضة على غيرنا، في وقتٍ لا نستطيع أن نواجه مؤامراتٍ صريحةً ومعلنةً علينا حتى بالكلام.

س٧. على المستوى العربي ما التغييرات المحتملة مستقبلاً أو التي يجب إجراؤها برأيك؟

الأمر يتوقف على المدى الذي سيستغرقه الوباء إلى حين انقشاع غمَّته، فإن لم يطل الأمر لا أتوقع تغيراتٍ جوهرية أو مهمَّة على مستوى سلوك الأفراد سواء في العالم العربي أو الغربي، فالإنسان عجول ونسيٌّ، وسيرجع الناس إلى ما اعتادوه، ويستأنفون حياتهم كما اعتادوها يرمِّمون ما تركه الوباء من آثار. أما الدول العربية وأصحاب القرار، فلا يبدو أنهم أحسنُ حالًا من الأفراد، يفكِّرون بالمياومة والمشاهرة، وقلَّة من يرسمون رؤى استشرافية فاعلة وحقيقية إلَّا أن تكون مرسومةً لهم، فهي لصالح من رسمها، وما سيجرى من تغيراتٍ إنما ستكون من صدى التغيرات العالمية. فالحكومات التي تعاملت مع الربيع العربي على أنه وباءٌ يهدِّدها، هي أعجز عن أن تتجاوز وباءً حقيقيًّا كالوباء الكوروني بخسائر قليلة، فضلًا عن أن تجترح مسارًا جديًّا للنهوض.

إن العامل الأشد تأثيرًا في العلاقات الدولية هو العامل الاقتصادي، والعالم مقبل على ركودٍ اقتصاديٍّ حتميٍّ لأسبابٍ غير اقتصادية هذه المرة، وبالتالي ستحصل تغيراتٌ عالمية في أنماط كثيرة، وسيتأثر بها كلُّ من ارتهن لقرار غيره. فالأولويات التي ينبغي أن تولى العناية في العالم العربي، هي التفكير الجدي بالتحول من مستوردٍ ومستهلكٍ ومن اقتصادٍ خدميٍّ إلى منتجٍ ومكتفٍ باستثمار الموارد المتاحة، وهذا يقتضي بالضرورة تطوير البحث العلمي والتعليم، وأن يحظى ذلك بالأولوية القصوى، فالجيش الأقوى الذي يمكنه أن يتصدَّى للأوبئة هم العلماء ومن دونهم لا شيء يمكن أن يستقر في الحياة.

المحور الثالث: العولمة حوَّلت النظام العالمي المعولم إلى كياناتٍ معزولة متباعدة:

س٨. نجحت حركة العولمة بالتأكيد في توحيد العالم على المستوى التقني والاقتصادي، لكنها خلقت مخاطرَ كبيرةً على مستوى البيئة والأسلحة النووية والاقتصاد، بحيث منذ بداية العولمة في التسعينيات والحروب والأزمات المالية مشتعلة. فهل هذا يعني أن العالم في حاجة إلى منظومة فكرية وفلسفية جديدة قادرة على قيادة العالم؟

بغضِّ النظر عن الوباء الطارئ، فإن العقد الأخير من السنين كان فيه من الارتباك والهزات ما ينبئ عن تغيراتٍ ستطال النظام العالمي دون وضوح معالم تساعد على استشراف نمط هذا التغيير المحتمل، وكانت التحولات في العالم العربي وردود الفعل عليها والآثار التي أعقبتها هي بؤرة هذا التوقع، فليس خفيًّا أن قضية اللجوء وما أعقبها من نمو الاتجاهات اليمينية مثَّلت عنوان تحولات أوروبية مسَّت بنية الاتحاد الأوروبي بخروج بريطانيا منه. وبينما تعيد الأحزاب الكبرى رسم سياساتها لاحتواء تهديد النزعات اليمينية المتطرفة، جاء هذا الوباء ليحفِّز النظر في أمرين نقيضَيْن: الأول المخاطر المحتملة للانفتاح وأثره في انتشار الوباء، والثاني العجز عن مواجهته بانفراد. فالدول التي أسست التكتلات الكبرى والتكامل الاقتصادي هي نفسها مضطرة اليوم لأن تنعزل عن بعضها، بل تعزل المدن في الإقليم الواحد، وفي الآن نفسه تحتاج إلى بعضها في مواجهة هذا الوباء. إن العالم في حالة طوارئ وإجراءاتٍ استثنائية، لكنها دالَّةٌ ومؤثرة، وبدأت الأصوات من الآن تنعى تلك المنظومة المهيمنة، وعجزها في إدارة الأزمات ومواجهتها، وهذا ربما يترك أثره في اتجاهات الناخبين في الغرب، والتي قد تعزز فرص الأحزاب المناصرة للبيئة والمناهضة للعولمة، لكن حاجة الاقتصاد للتعافي ستعزِّز الاتجاهات الأخرى.

هذا على الصعيد السياسي، وهو المؤثر والفاعل المباشر. أما على الصعيد الفكري والفلسفي، فإن دراسات نقد الحداثة ستحظى بمزيدٍ من الاهتمام والمشروعية، والأطروحات الباحثة عن بدائل سيتجدَّد سوقها، وستحتل الدراسات الأخلاقية مكانًا مهمًّا بوصفها موضوعًا ومشروعًا لإصلاح الدولة والمجتمع والنظام العالمي، ولا يبدو أن نظامًا عالميًّا بديلًا محتملًا سيكون أكثر عدالةً لا سيما إذا كان من سيقوده قطب جديد نموذجه الصين أو روسيا، وخبرة العالم بهما لا تبشِّر بخير. أما على الصعيد

العلمي، فسيحظى البحث العلمي بمزيدٍ من الدعم والاهتمام في الغرب.

وإن كان من أملٍ يمكن أن يأتي بتغييرٍ محتملٍ في العالم والسياسة الدولية، فأول مؤشراته أن يتوافق العالم على إنهاء الحروب التي هي الوباء الأكبر الذي يهدِّد حياة الناس قتلًا وتشريدًا وإبادة. فإن عجز العالم عن إيقاف وباء من صنع الإنسان يولد ضحايا ولاجئين يوميًّا، فلا أمل في أن يتوافق على نظامٍ جديدٍ أكثر إنسانيةً بفعل وباء ليس من صنعه.

س٩. هل يمكن أن تؤدي العولمة إلى تفاقم الأزمة الصحية إلى أزمة عامَّة يتداخل فيها الصحي بالاقتصادي والسياسي؟

العالم محكوم بالاقتصاد والسياسة المحميَّيْن بالقوة العسكرية، ولم يكن الأقوياء يومًا معنيين جديًّا بالآثار البيئية أو الإنسانية التي تترتَّب على سياساتهم في العالم، لكن الجديد في هذا الوباء أنه أصبح يهدِّد أساس القوة التي يستندون إليها؛ لذا إن تمت مراجعة السياسات فللحفاظ على أسباب القوة والسيطرة وتوقي مخاطر شبيهة في المستقبل، وإن طال أَمَدُ الوباء دون اكتشاف حلولٍ تحدُّ من انتشاره أو تستأصله، فإن التداعيات ستزداد وقد نشهد تغيراتٍ جذريةً في السياسات، كأن تنكفئ دول على نفسها وتستأثر بما يحقِّق خلاصها، وتترك الآخرين لمشكلاتهم، ويحتمل الأمر أن يكون فرصةً لدولٍ أخرى أن تستثمر في القضايا الإنسانية، فتصلح من خلالها الأزمات السياسية بينها وبين الدول الأخرى، أو بينها وبين شعوبها، فإذا عجزت عن ذلك في مثل هذه الأزمات فهي مقبلة على أزماتٍ أشدَّ قد تهدِّد وجودها واستقرارها.

س١٠. ما الدرس الرئيس الذي يمكن استخلاصه في هذه المرحلة من جائحة كورونا؟

أهم الدروس التي ينبغي استخلاصها بالنسبة إلى الدول والأمم، هو أهم ما ترشد إليه التعليمات لمواجهة الفيروس نفسه، أعني تقوية المناعة والاكتفاء الذاتي والتمكُّن من كل ما يساعد في مواجهة الأوبئة، وحال الدول والأمم كذلك، لا تدري متى يأتيها الوباء، فهي بحاجة إلى مناعة ذاتية بكل مكوناتها الروحية والعلمية والاقتصادية، فمن الأولوية بمكانٍ أن تحقِّق الدول استقلالها الحقيقيَّ واكتفاءها الذاتيَّ، وبذلك تتمكَّن من تكاملها مع الآخرين ولا تكون عالةً عليهم.

جميع الحقوق محفوظة © ٢٠٢٠

All rights reserved © 2020